من خصـــــــــال الإيمـــان أن يحب لأخيه ما يحـــب لنفسه

بحث في دراسات في كتب السنة٢

الأستاذ/ عبد الفتاح ايت بلخير
قسم: الحديث
كلية:العلوم الإسلامية
جامعة المدينة العالمية
شاه عليم-ماليزيا
AC222@lms.mediu.edu.my

خلاصة البحث: يتناول بحثنا هذا أمرا هاما ألا وهو كون الإيمان يدعوا إلى حب الخير للآخرين وكراهية الشر لهم وهو أصل رابطة الأخوة في الدين،وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر،حتى يحصل الإيمان الكامل الذي يرضاه الله - سبحانه وتعالى- لنا .

مفاتيح الموضوع: حديث أنس رضي الله عنه - دراسة ذلك بعض الرواة في بعض ألفاظ الحديث – أقوال الفقهاء في شرح الحديث

I. المقدمة

أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن العبد لا يؤمن حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه،وسوف نرى ما المقصود بالإيمان في الحديث ؟ وهل من لم يحقق هذا الامر فليس بمؤمن؟كل هذا سنتدارسه بإيجاز من خلال المسند الصحيح للإمام مسلم-رحمه الله-

II. موضوع المقال:

قال الإمام مسلم –رحمه الله- :
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) (١)

وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ -أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ- مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))

قال الإمام النووي –رحمه الله -:
" هكذا في مسلم لأخيه أو لجاره على الشك وكذا هو في مسند عبد بن حميد على الشك وهو في البخاري وغيره لأخيه من غير شك " –**انظر شرح النووي**-

قال الإمام أبو العباس القرطبي–رحمه الله- :
" وقوله: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) **أي**: لا يكمل إيمانه كما تقدم؛ إذ من يغش المسلم ولا ينصحه مرتكب كبيرة، ولا يكون كافرًا بذلك، كما بيناه غير مرة، وعلى هذا فمعنى الحديث: أن الموصوف بالإيمان الكامل من كان معاملته للناس، وتتضمن أن يفضلهم على نفسه؛ لأن كل أحد يحب أن يكون أفضل من غيره، فإذا أحب لغيره ما يحب لنفسه فقد أحب أن يكون غيره أفضل منه، وإلى هذا المعنى أشار الفضيل بن عياض لما قال لسفيان بن عيينة: إن كنت تريد يكون الناس مثلك، فقد أديت لله الكريم النصيحة، وأنت تود أنهم دونك؟ " – !انظر المفهم-

وقال القاضي عياض –رحمه الله- :
" وقوله: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه -**أو لجاره**- ما يحب لنفسه))؛ **أي: لا** يتم إيمانه حتى يكون بهذه الصفة للمؤمنين، من كفه الأذى عنهم، وبذله المعروف، ومودته الخير لجميعهم وصرف الضر عنهم.

وقيل: ظاهره التسوية وباطنه التفضيل؛ لأن كل أحد يحب أن يكون أفضل، فإذا أحب لغيره ما يحب لنفسه كان هو من المفضولين، وقد روي هذا المعنى عن الفضيل بن عياض: أنه قال لسفيان بن عيينة -رحمهما الله-: إن كنت تريد أن يكون للناس كلهم مثلك، فقد أديت لله الكريم نصيحة، فكيف؟ وأنت تود أنهم دونك" –**انظر اكمال المعلم** -

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم:
" قال العلماء رحمهم الله معناه لا يؤمن الإيمان التام وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم تكن هذه صفته والمراد يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات ويدل عليه ما جاء في رواية النسائي في هذا الحديث حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه. **وقال أبو عمرو بن الصلاح** في هذا الحديث وهذا أي محبة المرء لأخيه من الصعب الممتنع وليس كذلك إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام مثل ما يحب لنفسه والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئاً من النعمة عليه وذلك سهل على القلب السليم وإنما يعثر على القلب الذي فيه دغل عافانا الله وإخواننا أجمعين والله أعلم ".

وهذا الأصل العظيم أشار إليه الحبيب-صلى الله عليه وسلم-في غير ما موضع.
فعن أنس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- **قال**: ((ثلاث مَنْ كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، مَنْ كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)) (٢)

قال القاضي عياض –رحمه الله-**في "اكمال المعلم"**:
" لا تتضح محبة الله ورسوله حقيقة، والحب للغير في الله وكراهة الرجوع إلى الكفر، إلا لمن قوى بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط بشاشته لحمه ودمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته. الحب في الله من ثمرات الحب لله

ومعنى حب العبد لله: استقامته في طاعته، والتزامه أوامره ونواهيه في كل شيء ولهذا قال بعضهم، المحبة مواطأة القلب على ما يرضي الرب، فيحب ما أحب ويكره ما كره.

وأما المحبة للرسول فيصح منه الميل؛ إذ ميل الإنسان لما يوافقه، إما لأنه يستلذه ويستحسنه كميله للصورة الجميلة والأصوات الحسان والمطاعم الشهية وأشباهها من المستلذات بالحواس الظاهرة أو يستلذه بحاسة عقله من المعاني الباطنة الجميلة، والأخلاق الرفيعة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضائل، والخصال العلية، وإن لم يرهم ولا قارب زمانهم، أو ميله لمن يحسن إليه وينعم عليه، ويدفع المضار والمكاره عنه، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها.

وهذه المعاني كلها موجودة في حق النبي -صلى الله عليه وسلم- مسببة حبه لما خلق عليه من كمال صورة الباطن والظاهر وكمال خلال الجلال، وجماع الفضائل، وإحسانه إلى المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعيم والإبعاد من الجحيم، وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله تعالى، وحب العبد له على قدر معرفته لجلاله وكمال صفاته وتقدسه عن النقائص، وفيض إحسانه وأن الكل منه، وكل جمال وجلال فمضاف إليه، وكل فضل وإجمال فمن بسط يديه لا إليه غيره.

ومن محبته ومحبة رسوله التزام شريعته، ووقوفه عند حدوده ومحبة أهل ملته، هو تمام محبته، فيحب العبد لا يحبه إلا لله؛ لأن من أحب شيئا أحب ما يحبه، ومن يحبه، ومن هو من سببه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((من أحب العرب فبحبي أحبهم)) وإذا حصل هذا بين المؤمنين؛ حصلت منه الألفة الموجبة لتعاون على البر والتقوى، والمزيدة لأمر الدين والدنيا والمحبة لله والبغض فيه من واجبات الإسلام، وهو قول مالك وغيره من العلماء ".

وقال الإمام القرطبي:
" وقد أفاد الحديث: أن محبة المؤمن الموصلة لحلاوة الإيمان لابد أن تكون خالصة لله تعالى، غير مشوبة بالأغراض الدنيوية، ولا الحظوظ البشرية، فإن من أحبه لذلك انقطعت محبته إن حصل له ذلك الغرض، أو يئس من حصوله.

ومحبة المؤمن وظيفة متعينة على الدوام وجدت الأعراض أو عدمت. ولما كانت المحبة للأعراض هو الغالبة قل وجدان تلك الحلاوة، بل قد انعدم لاسيما في هذه الأزمان التي قد امّحى فيها أكثر رسوم الإيمان، وعلى الجملة فمحبة المؤمنين من العبادات التي لابد فيها من الإخلاص في حسن النيات " -انظر المفهم.

فنسأل الله السميع المجيب أن يرزقنا محبة فيه وأن يجمع المسلمين عليها معتصمين بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.والحمد لله أولا وآخرا

المصادر والمراجع

١- الإمام مسلم- "المسند الصحيح"-دار النشر بيروت-طبعة ٢٠٠٨م
٢- يحيى بن شرف النووي- شرح النووي على صحيح مسلم
،دار الفكر، ١٩٦٧م)
٣- أبو العباس القرطبي- "كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح **مسلم**"-**دار السلام**
٤- القاضي عياض- "**إكمال المعلم بفوائد مسلم** "-**دار الوفاء** للنشروالتوزيع**١٩٩٨م**

---

(١) : رواه أحمد (١٧٦/٣ و٢٧٢ و٢٧٨) والبخاري (١٣) ومسلم (٤٥) والنسائي (١١٥/٨) والترمذي (٢٥١٧)، وابن ماجه (٦٦
(٢) : رواه أحمد (١٠٣/٣ و١٧٤ و٢٣٠)، والبخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٣٦)، والنسائي (٩٦/٨)، وابن ماجه (٤٠٣٣